ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Lure Method of Induction in the Qur'anic Statement

Prof.Dr.Mohammad.Y. Khudhur

.Prof.Dr.AbdulWahhab.H. Khalaf

Tikrit University-college of Education for the Humanities

* *Corresponding author: E-mail* : mohammad.y.k@tu.edu.iq

Keywords:
Lure-method – Qur'anic-statement-his words - his eloquence

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 4 July. 2021
Accepted 17 Aug 2021
Available online 25 Jan 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

This research deals with an important term among the rhetoric terms, which is the term of enticement, which we did not see anyone presented it rhetorically in an independent research on the limits of our standing and following it, and as an attraction to the addressee with what affects and makes him feel comfortable, or what frightens and terrifies him before the surprising request of the addressee. It is a broad chapter, which contains a disposition of speech as a person disposes of

his states and actions in a way that will benefit him

By extrapolation, it appears that this term has a concern in the verses of the Holy Qur'an and a place in them, as well as its purposes and methods that were distinguished in Allah's Book, and how scholars interpreted the noble verses, and excelled in revealing this art in their interpretations, as well as books of rhetoric. Ibn al-Atheer is the first to refer to this Art, and he drew attention to it in the Book of Allah Almighty, explained and discussed the evidence that leads to many cases of rhetoric, how not when he deduced it from the Holy Qur'an.

Concerning the research plan, it dealt with a preface, two chapters, and a conclusion. Induction with graphic images from metaphor and a metaphor. The second chapter deals with the occurrence of luring by structural methods of demand. The third chapter deals with the innovative methods of lure such as flirtation, deception, fallacy, fairness of the opponent and others. The conclusion contained the most important results that were extracted from the research.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI:http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.1.1.2022.07

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

أسلوب الاستدراج في البيان القرآني

ا.د.محمد ياس خض/ جامعة تكريت– كلية التربية للعلوم الإنسانية ر

ا.د.عبد الوهاب حسين خلف/ جامعة تكريت– كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

يتناول هذا البحث مصطلحا مهما من مصطلحات علوم البلاغة ألا وهو مصطلح الاستدراج ، والذي لم

نرَ أحدا قد عرضه بلاغيا في بحث مستقل على حدود وقوفنا وتتبعنا له ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه ، أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه ، وهو باب واسع ، وفيه من التصرف في الكلام كتصرف الإنسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه .

وبالاستقراء ظهر أن لهذا المصطلح شأناً في آيات الذكر الحكيم ومكانة فيها فضلا عن أغراضه وأساليبه التي انماز بها في كتاب الله ، وكيف فسر العلماء الآيات الكريمة ، وأبدعوا في كشف هذا الفن في تفاسيرهم ، وكذا كتب أهل البلاغة ، ويعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تفضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم .

أما خطة البحث فقد تناولتْ تمهيدا ومبحثين وخاتمة ، عرضنا في التمهيد للتعريف بالمصطلح وأقوال العلماء فيه ، أما المبحث الأول فيتناول الألفاظ المتقاربة معه كالكيد والمكر والإمهال والإملاء ، مع بيان الفروق الدقيقة فيما بينها ، ثم المبحث الثاني وقُسّم على علوم البلاغة الثلاثة: المطلب الأول وهو في الاستدراج بالصور البيانية من استعارة وكناية ، والمطلب الثاني في وقوع الاستدراج بالأساليب الإنشائية الطلبية ، والمطلب الثالث تناول الأساليب البديعية للاستدراج كالملاطفة والإيهام والمغالطة وإنصاف الخصم وغيرها ، وحوت الخاتمة على أهم النتائج التي استُخلصت من البحث .

الكلمات المفتاحية

أسلوب ، الاستدراج ، البيان ، القرآني، ألفاظه ، بلاغته

المقدمة

يتناول هذا البحث مصطلحا مهما من مصطلحات علوم البلاغة ألا وهو مصطلح الاستدراج ، والذي لم نرَ أحدا قد عرضه بلاغيا في بحث مستقل على حدود وقوفنا وتتبعنا له ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه ، أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه ، وهو باب واسع ، وفيه من التصرف في الكلام كتصرف الإنسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه .

وبالاستقراء ظهر أن لهذا المصطلح شأناً في آيات الذكر الحكيم ومكانة فيها فضلا عن أغراضه وأساليبه التي انماز بها في كتاب الله ، وكيف فسر العلماء الآيات الكريمة ، وأبدعوا في كشف هذا الفن في تفاسيرهم ، وكذا كتب أهل البلاغة، ويعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تفضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم

أما خطة البحث فقد تناولتْ تمهيدا ومبحثين وخاتمة ، عرضنا في التمهيد للتعريف بالمصطلح وأقوال العلماء فيه ، أما المبحث الأول فيتناول الألفاظ المتقاربة معه كالكيد والمكر والإمهال والإملاء ، ثم المبحث الثاني وقُسّم على علوم البلاغة الثلاثة: المطلب الأول وهو في الاستدراج بالصور البيانية من استعارة وكناية ، والمطلب الثاني في وقوع الاستدراج بالأساليب الإنشائية الطلبية ، والمطلب الثالث تناول الأساليب البديعية للاستدراج كالملاطفة والإيهام والمغالطة وإنصاف الخصم وغيرها ، وحوت الخاتمة على أهم النتائج التي استُخلصت من البحث .

التمهيد :

الاستدراج لغة :

قال ابن فارس : ((دَرَجَ) الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ الشَّيْءِ وَالْمُضِيِّ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ دَرَجَ الشَّيْءُ، إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ. وَرَجَعَ فُلَانٌ أَدْرَاجَهُ، إِذَا رَجَعَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ. وَدَرَجَ الصَّبِيُّ، إِذَا مَشَى مِشْيَتَهُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: دَرَجَ الرَّجُلُ، إِذَا مَضَى وَلَمْ يُخْلِفْ نَسْلًا. وَمَدَارِجُ الْأَكَمَةِ: الطُّرُقُ الْمُعْتَرِضَةُ فِيهَا. قَالَ:

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُومِي ... تَعَرُّضَ الْجَوْزَاءِ لِلنُّجُومِ))[1]

والاستدراج من استدرج ، ((واسْتَدْرَجه، بِمَعْنًى، أَي أَدناه مِنْهُ عَلَى التَّدْرِيجِ، فتَدَرَّجَ هُوَ))[(2)] .

وفي التنزيل الكريم قوله تعالى :﴿ آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال ﴾ الأعراف: ١٨٢ ، ومعناه كما ((قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: سَنَطْوِي أَعْمَارَهُمْ فِي اغْتِرَارٍ مِنْهُمْ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الِاسْتِدْرَاجُ أَنْ تَدْرُجَ إِلَى الشَّيْءِ فِي خُفْيَةٍ قَلِيلًا قَلِيلًا وَلَا تَهْجُمَ عَلَيْهِ وَأَصْلُهُ مِنَ الدَّرَجَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّاقِيَ وَالنَّازِلَ يَرْقَى وَيَنْزِلُ مِرْقَاةً مِرْقَاةً وَمِنْهُ دَرَجَ الْكِتَابَ طَوَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَدَرَجَ الْقَوْمُ مَاتُوا بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُوَ أَنْ يُذِيقَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يُتَابِعُهُمْ بِهِ وَلَا يُجَاهِرُهُمْ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ سَنَأْخُذُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَحُ بَابًا مِنَ النِّعْمَةِ يَغْتَبِطُونَ بِهِ وَيَرْكَنُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ عَلَى غِرَّتِهِمْ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ انْتَهَى وَمِنْهُ دَرَجَ الصَّبِيُّ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ خُطَاهُ وَالْمَعْنَى سَنَسْتَرِقُهُمْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَدَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ بِالنِّعَمِ عَلَيْهِمْ وَالْإِمْهَالِ لَهُمْ حَتَّى يَغْتَرُّوا وَيَظُنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَنَالُهُمْ عِقَابٌ، وَقَالَ الْجُبَّائِيُّ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الْعُقُوبَاتِ حَتَّى يَقَعُوا فِيهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا كَالْقَتْلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَذَابَ الْآخِرَةِ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَمَعْنَى سَنَسْتَدْرِجُهُمْ سَنَسْتَدِينُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى مَا يُهْلِكُهُمْ وَيُضَاعِفُ عِقَابَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مَا يُرَادُ بِهِمْ وَذَلِكَ أَنْ يُوَاتِرَ اللَّهُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مَعَ انْهِمَاكِهِمْ فِي الْغَيِّ فَكُلَّمَا جَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً ازْدَادُوا بَطَرًا وَجَدَّدُوا مَعْصِيَةً فَيَتَدَرَّجُونَ فِي الْمَعَاصِي بِسَبَبِ تَرَادُفِ النِّعَمِ ظَانِّينَ أَنَّ مُوَاتَرَةَ النِّعَمِ أَثَرَةٌ مِنَ اللَّهِ

وَتَقْرِيبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ خِذْلَانٌ مِنْهُ وَتَبْعِيدٌ فَهَذَا اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ قِيلَ: بِالِاسْتِدْرَاجِ، وَقِيلَ: بِالْهَلَاكِ))[3] ، ((يقال استدرج فلان فلانا إذا أتى بأمر يريد ليلقيه في هلكة ، ولا يكون الاستدراج إلا حالا بعد حال ومنه فلان يدرج فلانا ومنه أدرجت الثوب والاستدراج إلى الشيء : هو الإغراء به ، وتيسير السبل إليه ، حتى يقع فيه من استدرج إليه))[4].

ومعنى حالا بعد حال : ((هو الأخذ بالتدريج ، منزلة بعد منزلة، والدرج : لف الشيء ؛ يقال : أدرجته ودرجته. ومنه أدرج الميت في أكفانه. وقيل : هو من الدرجة ؛ فالاستدراج أن يحط درجة بعد درجة إلى المقصود))[(5)].

وقد قيل: إذا رأيت الله – تعالى – أنعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج ، فالاستدراج : ((هو كُمون المحنة في عين المنة، وهو من درج الصبي إذا أخذ في المشي شيئًا بعد شيء، ومنه: الدرج الذي يُرتقى عليه إلى العلو، كذلك المستدرج هو الذي تُؤخذ منه النعمة شيئًا بعد شيء وهو لا يشعر، قال تعالى : ﴿ ٱلْغَنَٰٓئِمُ ٱلنِّسَآءِ لِلْمَآئِدَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ٱلْأَعْرَافِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ فالاستدراج ليس خاصًا بالكفار، بل يكون في المؤمنين خواصهم وعوامهم))[(6)] ، ((ثُمَّ شَاعَ إِطْلَاقُهُ عَلَى مُعَامَلَةٍ حَسَنَةٍ لِمُسِيءٍ إِلَى إِبَّانٍ مُقَدَّرٍ عِنْدَ حُلُولِهِ عِقَابُهُ))[(7)] .

اصطلاحا:

عرّفه ابن الأثير في الجامع الكبير بقوله: ((هو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يُوثق السامع ويطربه، لأن مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه))[(8)].

وعرفه ابن الأثير الحلبي (ت737 ه) بقوله : ((يقال استدرج فلان فلانا اذا توصل الى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة ، والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب ولزوم الأدب في الكلام مع المخاطب بحيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه))[(9)]

وعرف التنوخي الاستدراج وعدّه من علم البيان بقوله : ((ومن البيان الاستدراج ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه ، وهذا باب واسع، وهو أن يقدم المخاطب من ترغيب وترهيب وإطماع وتزهيد ، وأمزجة الناس تختلف في ذلك فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم إلا يسيرا ، بل ينبغي أن يكون في مزاج الانسان قوة تؤديه إلى ذلك ، وهي تصرف في الكلام كتصرف الانسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه))[(10)].

وذكر هذا اللون ابن قيم الجوزية في كتابه الفوائد[11]، ونقل كلام ابن الأثير في ذكر هذا الفن البلاغي وذكر الأمثلة المتضمنة لآيات الذكر الحكيم فيه .

وجاء عند الكفوي في الكليات ((الاستدراج هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدا من الله تعالى)) [(12)].

أولية هذا المصطلح

يعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تفضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم بقوله : ((وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى ، وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال ، والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، وإذا حُقق النظرُ فيه عُلم أن مدار البلاغة كلها عليه ؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة والمعاني اللطيفة الدقيقة ، دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها ، والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيراً في خِلابهِ[(13)]، لا قصيراً في خطابهِ ، فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يدهِ وإلا فليس بكاتب ولا شبيه له إلا صاحب الجدل ، فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية)) [(14)].

لكن محيي الدين درويش لم يرتض نسبة هذا الفن لابن الأثير وزعم أنه استلب فكرته من الزمخشري فقال: ((وقد أحسن الإمام الزمخشري في تحليل هذا الفن وان لم يسمه فحلل هذا الفصل تحليلا عجيبا وقد شاء ضياء الدين بن الأثير الذي استخرج هذا الفن أن يُغير على فصل الزمخشري فنسفه برمته ونسبه اليه وسننصف الزمخشري من سالبيه فننقل فصله برمته وعلى طوله فهو كالحسن غير مملول))[15] ، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه[16]– وستأتي– فعدم تسمية هذا الفن لا يعدّ استخراجا ولا اكتشافا له أما تحليله في الكلام فقد تكلم عليه الكثير ، وجمعا بين الرأيين فنرى أن ابن الأثير انقدح في ذهنه هذا الفن من تحليل الزمخشري للقصة المذكورة ؛ لذا أتى بها مباشرة منقولة بعد التعريف بهذا الفن.

المبحث الأول: ألفاظ الاستدراج

وردت ألفاظ متقاربة ولا نقول مترادفة مع مصطلح الاستدراج بيّنها أصحاب المعاجم والتعريفات والتفاسير منها:

الكيد: وهو مصطلح مقارب لهذا الفن جاء في ((الكيد إرادة مضرة الغير حقيقة ، وهو من الأخلاق الحيلةُ السيئةُ ، ومن الله التدبيرُ بالحق لمجازاة أعمال الخلق ، وقال الراغب الكيد ضرب من الاحتيال ، ويكون محمودا ومذموما ، وإن كان استعماله في المذموم أكثر)) [(17)]، ((وكذلك الاستدراج

والمكر، ويكون بعض ذلك محمودا ، قال: ﴿ طَلَّنَهُ ٱلأَبۡيَنَاءُ ٱلۡخَبۡحِ ﴾يوسف: ٧٦))[18] ، و (الكيد) لم يضبط تحديد معناه في كتب اللغة ، وظاهره أنه يرادف المكر والحيلة ، إلا أن بينهما فرقا دقيقا ، قال الطاهر : ((وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ الْكَيْدَ أَخَصُّ مِنْ الِاحْتِيَالِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ غُلِبَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الِاحْتِيَالِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا لَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ الْمَكِيدُ لَاحْتَرَزَ مِنْهُ، فَهُوَ احْتِيَالٌ فِيهِ مَضَرَّةٌ مَا عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَمُرَادُ الرَّاغِبِ بِالْمَذْمُومِ الْمَذْمُومُ عِنْدَ الْمَكِيدِ لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَالَ ابْنُ كَمَالْ بَاشَا: الْكَيْدُ الْأَخْذُ عَلَى خَفَاءٍ ، وَلَا يُعْتَبَرُ فِيهِ إِظْهَارُ الْكَائِدِ خِلَافَ مَا يُبْطِنُهُ ، وَيَتَحَصَّلُ مِنْ هَذِهِ التَّدْقِيقَاتِ: أَنَّ الْكَيْدَ أَخَصُّ مِنَ الْحِيلَةِ وَمِنَ الِاسْتِدْرَاجِ))[19].

وكذا **المكر** من الاستدراج ((والمكر : إخفاء الكيد وطيه ، من الجارية الممكورة المطوية الخَلْق))[20] ، مأخوذ من ضَرْبٍ مِنَ النَّبَاتِ ((وَهُوَ شَجَرٌ مُلْتَفٌّ، فَكَانَ الْمَمْكُورُ بِهِ يَلْتَفُّ بِهِ الْمَكْرُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: امْرَأَةٌ مَمْكُورَةٌ إِذَا كَانَتْ مُلْتَفَّةَ الْخَلْقِ))[21]، والمكر : إخفاء الكيد ، يُقَالُ: مَكَرَ اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْمَكْرِ، وَهُوَ أيضا من الشَجَر المُلْتَفّ[22] ، كأنه يخفي من يستتر فيه ، ((وقال أهل المعاني: المكر: السعي في الفساد في ستر ومداجاة، وأصله من قول العرب: مكر الليل))[23]، ومنه قوله تعالى﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ ﴾سبأ: ٣٣ لكن القرآن الكريم ذكر مكر الليل والنهار أيضا ، ومنه أيضا قوله سبحانه : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴾ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾ يونس: ٢١ ، ، وهو من الله تعالى إما الاستدراج أو الجزاء على المكر ، وتسمية عقوبة الله مكرا من باب «المشاكلة» [24] ، قال الماوردي في تفسيره: ((وإنما جاز قوله: {وَمَكَرَ اللَّهُ} على مزواجة الكلام وإن خرج عن حكمه , نحو قوله: ﴿ ٱلۡبَقَرَةِ ءَالِ عِمۡرَٰنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلۡمَآئِدَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ٱلۡأَعۡرَافِ ٱلۡأَنفَالِ ٱلتَّوۡبَةِ يُونُسَ ﴾ البقرة: ١٩٤ ، وليس الثاني اعتداءً , وأصل المكر: الالتفاف , ولذلك سمي الشجر الملتف مكراً , والمكر هو الاحتيال على الإنسان لالتفاف المكروه به ، والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من غير قصد إلى الإضرار , والمكر: التوصل إلى إيقاع المكروه به))[25].

((وقوله ﴿العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ آل عمران: ٥٤ معناه في أنه فاعل في حق في ذلك ، والماكر من البشر فاعل باطل في الأغلب ؛ لأنه في الأباطيل يحتاج إلى التحيُّل والله سبحانه أشد بطشا وأنفذ إرادة ، فهو خير من جهات لا تحصى لا إله إلا هو))[26]

((والمكر ألطف التدبير))[27]، قال تعالى : ((﴿ ٱلْحِجْرِ ٱلْخَالِ ٱلْإِسْرَاءِ ﴾الأنفال: ٣٠ وَالْمَكْر من الله: التَّدْبِير بِالْحَقِّ، وَقيل: هُوَ الْأَخْذ بَغْتَة))[28].

والتيسير من مقاربات الاستدراج كاستدراج الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله ، فهو تزيين المنكر لهم ، وتيسير سبلهم إليه ، كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ حمٓ ٱلزُّمَرِ غَافِرِ فُصِّلَتْ ٱلشُّورَىٰ ٱلزُّخْرُفِ ٱلدُّخَانِ ٱلْجَاثِيَةِ ٱلْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ ٱلْفَتْحِ ﴾الليل: ٨ – ١٠ ، ((والتيسير يكون في الخير والشر وفي التنزيل العزيز فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرَى فهذا في الخير وفيه فسنيسره للعُسْرَى فهذا في الشر وأَنشد سيبويه

أَقام وأَقْوَى ذاتَ يومٍ وخَيْبَةٌ لأَوَّلِ من يَلْقَى وشَرٌّ مُيَسَّرُ))[29]

ويرى الفراء أن التيسير على معناه من السهولة لكن : ((فهل فِي العسرى تيسير؟ فيقال فِي هَذَا في إجازته بمنزلة قول الله تبارك الله وتعالى:﴿ ﴾﴿ سُورَةُ ٱلْفَاتِحَةِ ٱلْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴾التوبة: ٣، والبشارة فِي الأصل عَلَى المفرح والسار فإذا جمعت فِي كلامين: هَذَا خير، وهذا شر جاز التيسير فيهما جميعًا، وقوله عزَّ وجلَّ: فَسَنُيَسِّرُهُ سنهيئه ، والعرب تَقُولُ: قَدْ يسّرَت الغنم إِذَا ولدت وتهيأت للولادة: وقَالَ الشَّاعِر[30] :

هما سيدانا يزعمان وإنما ... يسوداننا أن يسَّرت غنماهما))[31]

((واليسرى هاهنا: الأعمال التي يستحقون بها الجنة، والعسرى: الأعمال التي يستوجبون بها النار في الآخرة))[32]، ((واستعمال التيسير مع العسرى، مبالغة في الوعيد والنذير لمن بخل واستغنى))[33] ، وهم في هذا الطريق الذي ركبوه لا يدرون أنهم على شفا جرف هار ، فقد أعماهم الضلال عن أن يروا وجه الحق أبدا ، فلعلّ تسمية طريق ضلالهم بالتيسير إيهاما ، فهم يظنون أنه طريق اليسر والنجاة .

والتزيين من مقاربات الاستدراج ((وقد نسب الله تعالى التّزيين في مواضع إلى نفسه، وفي مواضع إلى الشيطان، وفي مواضع ذكره غير مسمّى فاعله، فممّا نسبه إلى نفسه قوله في الإيمان: ﴿ ﴾﴿ ﴾ [الحجرات/ 7] ، وفي الكفر قوله: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل/ 4] ، ... وممّا نسبه إلى الشيطان قوله: ﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ [الأنفال/ 48] ... وممّا لم يسمّ فاعله قوله عزّ وجلّ: ﴿ طٰسٓمٓ ٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلْحَجِّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ : [آل عمران/ 14]))[34] ، وهذا الأخير داخل في تزيين الحق سبحانه امتحانا واختبارا .

((والتزيين من الله هُوَ أَنه خلق الْأَشْيَاء الْحَسَنَة والمناظر المعجبة، فَنظر الْخلق إِلَيْهَا بِأَكْثَرَ من قدرهَا، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِك، ففتنوا بِهِ؛ [فذَلِك] التزيين من الله))[35]، والتزيين من الشيطان هو قلب الحقائق؛إذ ((إنهم ... يرون الخير شرّا، والشّرّ خيرا ، والحق باطلا ، والباطل حقا))(36).

فالزينة تكون من الله تعالى محنة وبلاء كما قال تعالى[37]:﴿ ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ الكهف: ٧ ومن الشيطان مكرا ودهاء واستحواذا كما قال تعالى﴿ القيامة الانسان المرسلات النبإ النازعات عبس ﴾المجادلة: ١٩

وكذلك **الإملاء** ، ((وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْمَلْوَةِ وَهِيَ الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ، يُقَالُ: مَلَوْتُ مِنَ الدَّهْرِ مَلْوَةً وَمُلْوَةً وَمِلَاوَةً وَمُلَاوَةً بِمَعْنًى وَاحِدٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: أَمْلَى عَلَيْهِ الزَّمَانُ أَيْ طَالَ، وَأَمْلَى لَهُ أَيْ طَوَّلَ لَهُ وَأَمْهَلَهُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَمِنْهُ الْمَلَا لِلْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ الطَّوِيلَةِ وَالْمَلَوَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ))[38].

((والإملاء الإمهال والتأخير والإطالة في العمر والإنسان في الأجل، ومنه قوله تعالى: وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ؛ أي حينا طويلا ويقال: عشت طويلا، أي تمليت حينا))[39] ، وقوله تعالى ﴿ التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الاسراء الكهف مريم طه الانبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص ﴾ آل عمران: ١٧٨ ، بمعنى ((تخليتهم وشأنهم ، مستعار من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم ، والمعنى ولا تحسبن أن الاملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم))[40] ، ويستفاد من هذا أن الإملاء تطويل وتأخير للعقوبة ((وإن تركوا مدة من الزمان في خفْض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى))[41] ، لذا قال الحق سبحانه ﴿ التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر ﴾ الأعراف: ١٨٣ ؛ أي: إرخاء الزمن ، وامتداده ، وعدم تعجيل العذاب.

والفرق بين الإملاء والاستدراج هو أن الإملاء: هو الإمهال والتأخير ، والاستدراج: يعني أنه كلما جدد العبد خطيئة جدد الله له نعمة، وأنساه الاستغفار إلى أن يأخذه قليلا قليلا ، ولا يباغته[42]، ((وعلى هذا هما عموم وخصوص، إذ كل استدراج إملاء وليس كل إملاء استدراجا))[43].

ومنه **الإمهال** : والإمهال إنما هو إملاء واستدراج ليكتسبوا الآثام[44] ، ((والإمهالُ والتمهيلُ الانتظارُ، يقال: أَمْهَلْتُك كذا، أي: انتظرتُك لِتَفْعَلَه ، والمَهْلُ: الرِّفْقُ والتُّؤَدَةُ))[45]، وبين الإمهال والتمهيل فرق دقيق وهو أن ((التَّمْهِيلَ: الْإِمْهَالُ الشَّدِيدُ، وَالْإِمْهَالُ: التَّأْجِيلُ وَتَأْخِيرُ الْعُقُوبَةِ))[46] وورد الاثنان في

القرآن الكريم في سياق واحد من قوله تعالى﴿ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرَ النَّحْلَ الْإِسْرَاءَ الْكَهْفَ ﴾ الطارق: ١٧ ، ليجمع بين الشدة وتأجيل العقوبة ؛ وإنما تأتى ذلك من البنية ، فبنية فعّلَ تدل على التكرير والمبالغة ، في حين بنية أفعل تدل على المرة الواحدة .

أما ((الْفرق بَين الإنظار والإمهال أَن الإنظار مقرون بِمَا يَقع فِيهِ النّظر والإمهال مُبْهَم))[47] و((يكون من الله– سبحانه وتعالى... بأن يدع الظالم فى ظلمه حينا، ويوسّع له الحبل ، ويطيل به المهل، فيتوهم أنه انفلت من قبضة التقدير، وذلك ظنه الذي أراده ، ثم يأخذه من حيث لا يرتقب ، فيعلوه ندم ، ولات حينه))[48] .

ومنه **الإنظار** كما في الفرق السابق ((وَالْإِنْظَارُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأْخِيرُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْظَرْتُهُ بِحَقِّي عَلَيْهِ، أَنْظُرُهُ بِهِ إِنْظَارًا))[49] ، ومنه قوله تعالى ﴿ الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ ﴾ البقرة: ٢٨٠ ، لكن كيف يقع الاستدراج به , فذلك كما وقع لإبليس لعنه الله تعالى في قوله سبحانه﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ الحجر: ٣٦ – ٣٧

قال البقاعي: ((والإنظار: تأخير المحتاج للنظر في أمره {إلى يوم يبعثون } فحمل يوم الدين على حقيقته ، وأراد التصريح بالإنظار إليه ليأمن الموت، فكأنه قيل: ماذا قيل له؟ فقيل: {قال} له ربه: {فإنك} أي بسبب ما تقدم من الحكم {من المنظرين } وقطع عليه ما دبّج به من المكر))[50] ، فإعطاؤه ما يريد استدراج وإيقاع به .

ومنه **المخادعة** يقال ((خَدَعَه، كمنَعه، خَدْعاً، ويُكْسَرُ: خَتَلَه ، وأراد به المكروه من حيثُ لا يَعْلَمُ))[51] ، والخدع ((أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه، وعما هو بصدده من قولهم: خدع الضب ؛ إذ توارى في جحره ، وضب خادع وخَدع ، إذا أوهم الحارش إقباله عليه ، ثم خرج من باب آخر ، وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة ، والأخدعان لعرقين خفيين في العنق، والمخادعة تكون بين اثنين))[52] .

((ثم المخادعة على قدر المعاجلة وأكثر المفاضلة إنّما تجيء في الفعل المشترك بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة))[53] ، ومنه قوله تعالى:﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ البقرة: ٩ ، وقوله﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ النساء: ١٤٢ ، ((وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولأنهم لم يقصدوا خديعته ، بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف، أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ النساء: ٨٠ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴾ الفتح: ١٠ ، وإما أن صورة صنيعهم مع الله تعالى من إظهار الإيمان واستبطان الكفر، وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار، استدراجا لهم ، وامتثالُ الرسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين أمرَ الله في إخفاء حالهم ، وإجراء حكم الإسلام عليهم مجاراةً لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين))[54]، ((وإن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلم من لحن قولهم خفيَّ أمرهم كما قال تعالى: ﴿ قال تعالى: ﴾ ﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ محمد: ٣٠))[55] ، ((وقيل: إنّ ذكر الله سبحانه في قوله: يُخادِعُونَ اللَّهَ تحسين وتزيين لسامع الكلام))[56]، وكأنه يراد به المشاكلة والمجازاة لخداع أولئك المنافقين ، لكن القرآن الكريم لا يخلو من معنى ، فالراجح هو استراجهم بما يبطنون من الكفر خلاف ما يُظهرون من الإسلام ، فالله تعالى ((يعاملهم معاملة المؤمنين، فيتزوجون، ويرثون، ويعاملهم كأنهم المؤمنون الصادقون في الإيمان، فهم يخادعون بإظهار ما لَا يبطنون، والله تعالى يعاملهم بما يظهرون، ولا يعاملهم بما يبطنون))[57].

وقد تكون فاعل في المخادعة للواحد ((كقولك: طارقت النعل، وعاقبت اللصّ، وعافاك الله ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ الْمَلَكِ الْقَيِّمِ الْحَقَّةَ الْمَعْرُوجِ نَوْحٍ الْجِنِّ ﴾ الأعراف: ٢١ ، وقال: ﴿ الصَّافَّاتِ مِنْ ﴾ التوبة: ٣٠ ، والمخادعة ها هنا عبارة عن الفعل الذي يختص بالواحد في حين الله تعالى لا يكون منه الخداع))[58].

((ويحتمل أن يراد بـ (يُخادِعُونَ) يخدعون ... إلا أنه أخرج في زنة فاعل للمغالبة، فإن الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه، كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبارٍ استصحبت ذلك، ويعضده قراءة من قرأ (يَخْدَعُونَ)[59]، وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به مَن سواهم من الكفرة ، وأن يُفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء، وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد))[60].

المبحث الثاني: أغراضه البلاغية

المطلب الأول: علم البيان

علم البيان : لغة الكشف والظهور واصطلاحا هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى بطرق متعددة وتراكيب متفاوتة[61] : من الحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية فهي مختلفة من حيث وضوح الدلالة على المعنى الواحد ويدخل اسلوب الاستدراج عنصرا اساسيا في علم البيان في صور من هذا العلم فمن ذلك:

1- الاستدراج بطريق الاستعارة

الاستعارة فن من فنون البلاغة وهو استعمال الكلمة المفردة في غير ما وضعت له في أصل اللغة لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وقد جاء هذا الفن متضمنا معنى الاستدراج عند قوله تعالى:﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنعَام الأَعْرَاف الأَنفَال ﴾الأعراف: ١٨٢

((فَالسِّينُ وَالتَّاءُ فِي فِعْلِ الِاسْتِدْرَاجِ لِلطَّلَبِ، أَيْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَدَرَّجَ، أَيْ صَاعِدًا أَوْ نَازِلًا، وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْقَاصِدِ إِبْدَالَ حَالٍ أَحَدٍ إِلَى غَيْرِهَا بِدُونِ إِشْعَارِهِ ، بِحَالِ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ دَرَجَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَيْثُ يَنْتَهِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِدُونِ ذَلِكَ، وَهُوَ تَمْثِيلٌ بَدِيعٌ يَشْتَمِلُ عَلَى تَشْبِيهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَإِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى تَشْبِيهِ حُسْنِ الْحَالِ بِرِفْعَةِ الْمَكَانِ وَضِدُّهُ بِسَفَالَةِ الْمَكَانِ، وَالْقَرِينَةُ تُعِينُ الْمَقْصُودَ مِنَ انْتِقَالٍ إِلَى حَالٍ أَحْسَنَ أَوْ أَسْوَأَ.

وَمِمَّا يُشِيرُ إِلَى مُرَاعَاةِ هَذَا التَّمْثِيلِ فِي الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا تَضَمَّنَ الِاسْتِدْرَاجُ مَعْنَى الْإِيصَالِ إِلَى الْمَقْصُودِ عُلِّقَ بِفِعْلِهِ مَجْرُورٌ بِمِنَ الِابْتِدَائِيَّةِ أَيْ مُبْتَدِئًا اسْتِدْرَاجَهُمْ مِنْ مَكَانٍ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُفْضٍ بِهِمْ إِلَى الْمَبْلَغِ الضَّارِّ، فَحَيْثُ هُنَا لِلْمَكَانِ عَلَى أَصْلِهَا، أَيْ مِنْ مَكَانٍ لَا يَعْلَمُونَ مَا يُفْضِي إِلَيْهِ، وَحُذِفَ مَفْعُولُ يَعْلَمُونَ لِدَلَالَةِ الِاسْتِدْرَاجِ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَعْلَمُونَ تَدَرُّجَهُ، وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ عَظِيمٌ لَا يُظَنُّ بِالْمَفْعُولِ بِهِ أَنْ يَتَفَطَّنَ لَهُ))[62] ، ففي الاستدراج استعارة تبعية تصريحية شُبّه فيها من يراد أن يؤخذ بغتة بمن يُطلب منه استصعاد سلّم درجةً درجةً حتى يوقعه فيما أعدّ له من العذاب ، قال الطبري : ((يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا، فَجَحَدُوهَا وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا بِهَا، سَنُمْهِلُهُ بِغِرَّتِهِ وَنُزَيِّنُ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، حَتَّى يَحْسِبَ أَنَّهُ هُوَ فِيمَا عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِ بِآيَاتِ اللَّهِ إِلَى نَفْسِهِ مُحْسِنٌ، وَحَتَّى يَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهُ مِنَ الْمَهَلِ، ثُمَّ يَأْخُذَهُ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، فَيُجَازِيَهُ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ، وَذَلِكَ اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَأَصْلُ الِاسْتِدْرَاجِ اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَى الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرِجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ حَتَّى يُوَرِّطَهُ مَكْرُوهًا))[63].

وقوله تعالى:﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ النساء: ١٤٢ ((فَإِطْلَاقُ الْخِدَاعِ عَلَى اسْتِدْرَاجِ اللَّهِ إِيَّاهُمُ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ ، وَحَسَّنَتْهَا الْمُشَاكَلَةُ لِأَنَّ الْمُشَاكَلَةَ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ اسْتِعَارَةَ لَفْظٍ لِغَيْرِ مَعْنَاهُ مَعَ مَزِيدِ مُنَاسَبَةٍ مَعَ لَفْظٍ آخَرَ مِثْلِ اللَّفْظِ الْمُسْتَعَارِ. فَالْمُشَاكَلَةُ ترجع إِلَى التلميح، أَيْ إِذَا لَمْ تَكُنْ لِإِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ عَلَاقَةٌ بَيْنَ مَعْنَى اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى الْمُرَادِ إِلَّا مُحَاكَاةَ اللَّفْظِ، سُمِّيَتْ مُشَاكَلَةً كَقَوْلِ أَبِي الرَّقَعْمَقِ.

قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ:اطْبِخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا))[64]

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى: ﴿ التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر ﴾ الأعراف: ١٨٣

((يُقَالُ: أَمْلَى لِفَرَسِهِ إِذَا أَرْخَى لَهُ الطِّوَلَ فِي الْمَرْعَى، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَلْوِ بِالْوَاوِ وَهُوَ سَيْرُ الْبَعِيرِ الشَّدِيدِ، ثُمَّ قَالُوا: أَمْلَيْتُ لِلْبَعِيرِ وَالْفَرَسِ إِذَا وَسَّعْتُ لَهُ فِي الْقَيْدِ لِأَنَّهُ يَتَمَكَّنُ بِذَلِكَ مِنَ الْخَبَبِ وَالرَّكْضِ، فَشُبِّهَ فِعْلُهُ بِشِدَّةِ السَّيْرِ))[65] ، ثم أجري مجرى الاستعارة التبعية التصريحية ، فقَالُوا: ((أَمْلَيْتُ لِزَيْدٍ فِي غَيِّهِ أَيْ تَرَكْتُهُ: عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ ، وَأَمْلَى اللَّهُ لِفُلَانٍ أَخَّرَ عِقَابَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر ﴾ وَاسْتُعِيرَ التَّمَلِّي لِطُولِ الْمُدَّةِ تَشْبِيهًا لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ فَقَالُوا: مَلَّاكَ اللَّهُ حَبِيبَكَ تَمْلِئَةً، أَيْ أَطَالَ عُمُرَكَ مَعَهُ))[66].

أما إطلاق الكيد في هذه الآية بعد الإملاء على الرغم من أنه من مقارباته ؛ فلأنه كالتعليل والنتيجة له ومثله تماما قوله تعالى ﴿ صدق الله العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ القلم: ٤٤ – ٤٥ فتحصّل في هذه الآية وقوع الاستدراج والإملاء والكيد كلها مجتمعة لتعطي من دقائق المعاني المتقدمة ما يُحيّر الناظر في البيان القرآني ، قال الطاهر:((فَإِنَّ جُمْلَةَ: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ لَا تُفِيدُ إِلَّا تَعْلِيلَ الِاسْتِدْرَاجِ وَالْإِمْلَاءِ بِأَنَّهُمَا مِنْ فِعْلِ مَنْ يَأْخُذُ عَلَى خَفَاءٍ دُونَ تَلْوِينِ أَخْذِهِ بِمَا يَغُرُّ الْمَأْخُوذَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ كَائِدِينَ لَهُمْ، إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ))[67]

وفي إطلاق الكيد في جملة مستأنفة يفيد أيضا علاوةً على تعليل الاستدراج والإملاء أنه جاء هنا ((عَلَى طَرِيقَةِ[الاستعارة] التَّمْثِيلِيَّةِ بِتَشْبِيهِ الْحَالِ الَّتِي يَسْتَدْرِجُ اللَّهُ بِهَا الْمُكَذِّبِينَ مَعَ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَى أَمَدٍ هُمْ بَالِغُوهُ، بِحَال من يهيىء أَخْذًا لِعَدُوِّهِ مَعَ إِظْهَارِ الْمُصَانَعَةِ وَالْمُحَاسَنَةِ لِيَزِيدَ عَدُوَّهُ غُرُورًا، وَلِيَكُونَ وُقُوعُ ضَرِّ الْأَخْذِ بِهِ أَشَدَّ وَأَبْعَدَ عَنِ الاستعداد لتلقيه))[68].

2- الاستدراج بطريق الكناية والتعريض

الكناية كما عرفها اهل البيان بأنها لفظ اريد به لازم معناه وهي كما بينها الطيبي ترك التصريح بالشيء الى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه الى الملزوم[(69)] ، والتعريض : هو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضا بالمخاطب ، أو التعريض هو الاشارة الى الشيء اشارة خفية وهو يكون بضرب الامثال وذكر الالغاز وهو خطاب غير مباشر او ايحاء في وصف الحالة التعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح[(70)]

قال تعالى حكاية عن حال إبراهيم :﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ الأنعام: ٧٦ ((وَاسْمُ الْإِشَارَةِ هُنَا لِقَصْدِ تَمْيِيزِ الْكَوْكَبِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ وَلَكِن إجراؤه عَلَى نَظِيرَيْهِ فِي قَوْلِهِ حِينَ رَأَى الْقَمَرَ [71] وَحِينَ رَأَى الشَّمْسَ [72] هَذَا رَبِّي- هَذَا رَبِّي يُعَيِّنُ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ الْأَصْلِيُّ مِنْهُ هُوَ الْكِنَايَةُ بِالْإِشَارَةِ عَنْ كَوْنِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ أَمْرًا مَطْلُوبًا مَبْحُوثًا عَنْهُ فَإِذَا عُثِرَ عَلَيْهِ أُشِيرَ إِلَيْهِ ... وَهَذَا مِنَ الْأَغْرَاضِ الدَّاعِيَةِ لِلتَّعْرِيفِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الَّتِي أَهْمَلَهَا عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ فَيَصِحُّ هُنَا أَنْ يُجْعَلَ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَيَيْهِ الصَّرِيحِ وَالْكِنَايَةِ.))[73]، واستعمل هنا أسلوب الكناية على سبيل الاستدراج بنسبة عبادة الكوكب لنفسه ، قال الطاهر: ((وَتَعْرِيفُ الْجُزْأَيْنِ مُفِيدٌ لِلْقَصْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: هَذَا رَبٌّ. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ اسْتِدْرَاجَ قَوْمِهِ فَابْتَدَأَ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ لَا يَرَى تَعَدُّدَ الْآلِهَةِ لِيَصِلَ بهم إِلَى التوحد وَاسْتَبْقَى وَاحِدًا مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ فَفَرَضَ اسْتِحْقَاقَهُ الْإِلَهِيَّةَ كَيْلَا يَنْفِرُوا مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَى اسْتِدْلَالِهِ ... قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمُجَادَلَةِ لِقَوْمِهِ وَإِرْخَاءِ الْعِنَانِ لَهُمْ لِيَصِلُوا إِلَى تَلَقِّي الْحُجَّةِ وَلَا يَنْفِرُوا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ جَمَعَ جَمْعًا مِنْ قَوْمِهِ وَأَرَادَ الِاسْتِدْلَالَ عَلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: هَذَا رَبِّي أَيْ خَالِقِي وَمُدَبِّرِي فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ عِبَادَتِي، قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ جَرْيًا عَلَى مُعْتَقَدِ قَوْمِهِ لِيَصِلَ بِهِمْ إِلَى نَقْضِ اعْتِقَادِهِمْ فَأَظْهَرَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُمْ لِيَهَشُّوا إِلَى ذَلِكَ ثُمَّ يَكِرُّ عَلَيْهِمْ بِالْإِبْطَالِ إِظْهَارًا لِلْإِنْصَافِ وَطَلَبِ الْحَقِّ.))[74].

ومن بدائع التعبير أنه خلص من الكناية إلى التعريض بعدما استدرج الخصم وأوقعه في أوحال شركه ليقول له هذا معبودك لا يساوي شيئا لأنه آيل إلى الزوال ، وذلك بقوله ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ الأنعام: ٧٦ ، ولم يكتفِ بذلك فقد عرّض في القمر بضلالهم ؛ وذلك في قوله﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ الأنعام: ٧٧ ((ويلاحظ أنه عرّض بضلالهم في أمر القمر ؛لأنه أيس منهم في أمر الكوكب، ولهذا أعلن في أمر الشمس البراءة منها عن طريق استدراج الخصم وإيقاعه تحت الحجة))[75] ، فتدرج معهم من أصغر المحسوسات من الكواكب ، ثم صعودا الى القمر تعريضا بهم ؛ ولهذا لما وصل للشمس صرح فتبرأ من كفرهم لأنه بلغ معهم غاية الاستدراج وإبلاغهم الحجة ، فقال:﴿ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ الأنعام: ٧٨ فترقى ((في النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم والتصريح بأنهم على شرك حين تم قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غايته))[76].

ومن التعريض توجيه السؤال إلى المؤودة في قوله تعالى﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ التكوير: ٨ – ٩ ((في قوله تعالى سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ دون الوائد مع أن الذنب له دونها ؛ لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها ؛ وإسقاطه عن درجة الخطاب ؛ والمبالغة في تبكيته ، فإن المجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني ، ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثا للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه، فيرى براءة ساحته وأنه هو المستحق للعتاب والعقاب، وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى ﴿ ﴾ المائدة: ١١٦))[77]، فاستدراجه وقع بطريق التعريض ليصل معه إلى سؤاله سؤالا تبكيتيا ؛ ليكون أشد وقعا وتوبيخا ، قال الزمخشري: ((فإن قلت : فما معنى سؤال المؤودة عن ذنبها الذي قتلت به ؛ وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها ؟ قلت : سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى : ﴿ ﴾ إلى قوله : ﴿ ﴾المائدة: ١١٦))[78]

المطلب الثاني: علم المعاني

قال عنه السكاكي ((اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))[79] ، ووقع الاستدراج ببعض الأساليب الإنشائية الطلبية

1- الاستدراج بطريق الأمر وخروجه الى الخبر

قوله تعالى﴿ ﴾العنكبوت: ١٢ فقَوْلَهُ (({اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} وَإِنْ كَانَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، فَإِنَّ فِيهِ تَأْوِيلَ الْجَزَاءِ، وَمَعْنَاهُ مَا قُلْتُ: إِنِ اتَّبَعْتُمْ سَبِيلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ))[80]، ((قَالَ الْكَوَاشِيُّ: وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَبَرِ أَبْلَغُ مِنَ الْخَبَرِ لِتَضَمُّنِهِ اللُّزُومَ نَحْوُ إِنْ زُرْتَنَا فَلْنُكْرِمْكَ يُرِيدُونَ تَأْكِيدَ إِيجَابِ الْإِكْرَامِ عَلَيْهِمْ كَذَا قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ مَقْصُودُهُ تَأْكِيدُ الْخَبَرِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلْإِيجَابِ يُشْبِهُ الْخَبَرَ فِي إِيجَابِهِ))[81].

أما سبب الاستدراج فهو ما بينه وتنبه له عبد الرحمن حبنكة الميداني عند وقوفه على الآية ((وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ: هذِه صيغةُ أمْرٍ، يُرادُ بِها الإخبارُ على سبيل الوعد بأنّهم سيَحْمِلُونَ عَنْهُمْ خَطَايَاهُمْ إذَا اتَّبَعُوهم، وهم كاذبون بهذا الوعد، وغرضهم منه الاستدراج إلى الكفر.

وصيغة الأمر في هذا المقام أبلغ من صيغة الخبر، لأنّ فيها معنى إلزام أنفسهم بتحقيق الأمر الذي وعَدُوهم به.))[82]

2- الاستدراج بأسلوب الاستفهام الإنكاري

قوله تعالى﴿ الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج ﴾ البقرة: ١٣٣ الاستفهام في الآية إنكاري جاء لإبطال دعوى اليهود والنصارى في أن إبراهيم وبنيه كانوا هودا أو نصارى ، وفيه وقع استدراجهم لإبطال دعواهم ، قال الطاهر: ((وَهَذَا تَنْوِيهٌ بِالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَتَمْهِيدٌ لِإِبْطَالِ قَوْلِهِمْ: ﴿ الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴾البقرة: ١٣٥ وَإِبْطَالٌ لِزَعْمِهِمْ أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَأَنَّهُ أَوْصَى بِهَا بَنِيهِ فَلَزِمَتْ ذُرِّيَّتَهُ فَلَا يُحَوِّلُونَ عَنْهَا. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا ذَلِكَ قَالَهُ الْوَاحِدِيُّ وَالْبَغَوِيُّ بِدُونِ سَنَدٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم ﴾البقرة: ١٤٠ الْآيَةَ فَلِذَلِكَ جِيءَ هُنَا بِتَفْصِيلِ وَصِيَّةِ يَعْقُوبَ إِبْطَالًا لِدَعَاوِي الْيَهُودِ وَنَقْضًا لِمُعْتَقَدِهِمُ الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ كَمَا أَنْبَأَ بِهِ الْإِنْكَارُ فِي قَوْلِهِ:أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ))[83]، ((فَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا غَيْرُ حَقِيقِيٍّ لِظُهُورِ أَنَّ عَدَمَ شُهُودِهِمُ احْتِضَارَ يَعْقُوبَ مُحَقَّقٌ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ مَجَازٌ، وَمَحْمَلُهُ عَلَى الْإِنْكَارِ لِأَنَّهُ أَشْهَرُ مَحَامِلِ الِاسْتِفْهَامِ الْمَجَازِيِّ، وَلِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ مَأْلُوفٌ فِي الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ))[84].

((وَوَجْهُ دَلَالَةِ نَفْيِ الْمُشَاهَدَةِ عَلَى نَفْيِ مَا نَسَبُوهُ إِلَى يَعْقُوبَ هُوَ أَنَّ تَنْبِيهَهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا ذَلِكَ يُثِيرُ فِي نُفُوسِهِمُ الشَّكَّ فِي مُعْتَقَدِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ الْمَنْفِيِّ شُهُودُ الْمُخَاطَبِينَ مَحْضَرَهَا فَهَذَا مِنْ مَجِيءِ الْقَوْلِ فِي الْمُحَاوَرَاتِ ... فَيَكُونُ الْكَلَامُ نَفْيًا لِشُهُودِهِمْ مَعَ إِفَادَةِ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ، أَيْ وَلَوْ شَاهَدْتُمْ مَا اعْتَقَدْتُمْ خِلَافَهَا ، فَلَمَّا اعْتَقَدُوا اعْتِقَادًا كَالضَّرُورِيِّ وَبَّخَهُمْ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى النَّظَرِ فِي الطُّرُقِ الَّتِي اسْتَنَدُوا إِلَيْهَا فَيَعْلَمُوا أَنَّهَا طُرُقٌ غَيْرُ مُوَصِّلَةٍ، وَبِهَذَا تَعْلَمُونَ وَجِهَةَ الِاقْتِصَارِ عَلَى نَفْيِ الْحُضُورِ مَعَ أَنَّ نَفْيَ الْحُضُورِ لَا يَدُلُّ عَلَى كَذِبِ الْمُدَّعِي لِأَنَّ عَدَمَ الْوِجْدَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْوُجُودِ، فَالْمَقْصُودُ هُنَا الِاسْتِدْرَاجُ فِي إِبْطَالِ الدَّعْوَى بِإِدْخَالِ الشَّكِّ عَلَى مُدَّعِيهَا))[85] ففحوى إنكار شهودهم موت يعقوب عليه السلام استدراجهم في إيقاعهم بالشك في معتقدهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا هودا أو نصارى.

المطلب الثالث: علم البديع

علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[86] وهو العلم المقصور على امة العرب ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة ، ومما ظهر فيه من محسنات متضمنة لفن الاستدراج :

1- الاستطراد في الكلام لاستجلاب الخصم

الاستطراد ذكر الشيء في غير موضعه وقولهم وقع ذلك على وجه الاستطراد مأخوذ من الاجتذاب لأنك لم تذكره في موضعه بل مهدت له موضعا ذكرته فيه او هو سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض(87) وجاء هذا المصطلح في شرح نهج البلاغة بعنوان: (((استطراد بلاغي في الكلام على الاستدراج) واعلم أن في علم البيان بابا يسمى باب الخداع والاستدراج يناسب ما يذكره فيه علماء البيان قول أمير المؤمنين عليه السلام : يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ! قالوا : ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون : ﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء ﴾ غافر: ٢٨ ، فإنه أخذ معهم في الاحتجاج بطريق التقسيم ، فقال : هذا الرجل إما أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه ، وإما أن يكون صادقا فيصيبكم بعض ما يعدكم به ، ولم يقل : " كل ما يعدكم به " مخادعة لهم وتلطفا واستمالة لقلوبهم كي لا ينفروا منه لو أغلظ في القول وأظهر لهم إنه يهضمه بعض حقه .

وكذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصدق ، كأنه رشاهم ذلك ... ليطمئنوا إلى نصحه))[88] ، فوقع الاستدراج بأكثر من فن: الأول هو الاستطراد بطريق المحاججة عن أمر اعتقاده ثم التقسيم بإيهامهم بالشك بين صدقه وكذبه ، ثم أسلوب التقديم الذكري وهو تقديم كذبه على صدقه استدراجا لاستماع كلامه.

2- أسلوب الملاطفة لاستدراج الخصم

معنى الاستلطاف هو السؤال بحسن وحنان ويقال تلاطف القوم أي ترفقوا فيه وهو الترفق بالأمر ومعالجته بأدب وهذا هو بيان الاستدراج وهو الغرض الذي خرج اليه الاستدراج ، بين ابن الأثير الأمثلة التي تناولها في كتاب الله تعالى في تبيان هذا الفن البلاغي فمن ذلك قوله تعالى عن مؤمن ال فرعون وكيف استلطف قومه لاستدراجهم الى طريق الحق والعدل وترفق بهم أيما تلطف في قوله تعالى – وقد سبق في الاستطراد – : ﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء ﴾ ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقاً [وإن يكن صادقاً] يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له وفي هذا الكلام من حسن الأدب والإنصاف ؛ لأنه احتجاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القولِ ويأتيهم من جهة المناصحةِ ليكون أدعى إلى سكونهم إليه فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم إياهِ فقال (

وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم) وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد بهِ لكنه أردف بقوله (يصبكم بعض الذي يعدكم) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلامِ فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً فضلاً عن أن يتعصب لهِ ، وكذلك قوله في آخر الآية (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أي هو على الهدى ، ولو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبيناتِ وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء بهِ وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما إذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف فهذا الرجل المؤمن قد كتم ايمانه ، لكنه لم يكتم نصيحته وبيانه للحق ، اذ كان قادرا عليه فكتم ايمانه وهجرته ، ولم يكتم نصرته فاستدرج القوم بالطف اسلوب واجمل نصح وبيان[89] .

ومما جرى مجرى هذا الأسلوب ما قاله ابن الأثير في ((قوله تعالى:﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آل عِمْرَان النِّسَاء المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إبْرَاهِيم الحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء الكَهْف مَرْيَم طه الأَنْبِيَاء الحَج المُؤْمِنُون النُّور الفُرْقَان ﴾مريم: ٤١ – ٤٥ هذا كلام يهزّ أعطاف السامعين، وفيه من الفوائد ما أذكره، وهو لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورّطا فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل؛ رتّب الكلام معه في أحسن نظام، مع استعمال المجاملة واللطف والأدب الحميد والخلق الحسن، مستنصحا في ذلك بنصيحة ربه، وذاك أنه طلب منه أولا العلّة في خطيئته طلب منبّه على تماديه موقظ من غفلته؛ لأن المعبود لو كان حيّا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق يستخفّ عقل من أهّله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين، فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر، يعني به الصنم، ثم ثنّى ذلك بدعوته إلى الحق مترفّقا به، فلم يسم أباه الجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال: إنّ معي لطائفة من العلم وشيئا منه، وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق، فلا تستنكف؛ وهب أني وإياك في مسير، وعندي معرفة بهداية الطريق دونك، فاتّبعني أنجك من أن تضل، ثم ثلّث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه، فقال: إن الشيطان الذي استعصى على ربك وهو عدوّك وعدو أبيك آدم هو الذي ورّطك في هذه الورطة، وألقاك في هذه الضلالة، وإنما ألغى إبراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في نصيحة أبيه لأنه لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص بالله، وهي عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته آدم وذريته، ثم ربّع ذلك بتخويفه إياه سوء العاقبة، فلم يصرّح بأن العقاب لاحق به، ولكنه قال:(إني أخاف أن يمسك عذاب)، فنكّر العذاب ملاطفة لأبيه، وصدّر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله:(يا أبت)توسّلا إليه واستعطافا، وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه، فإنه قال: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) فأقبل عليه بفظاظة الكفر، وغلظ العناد، فناداه

باسمه، ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بنيّ وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: (أراغب أنت) ؛ لأنه كان أهمّ عنده، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس، لا سيما في مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم للكفار، والرد عليهم، وفي هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقنع))[90].

3- أسلوب المغالطة وإنصاف الخصم

المغالطة في علم المنطق مركبة من مقدمات شبيهة بالحق ، ولا يكون حقا ويسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمات المشهورة وتسمى مشاغبة ، وهي أيضا قول مؤلف من قضايا شبيهة بالقطعية أو بالظنية أو بالمشهورة[(91)] ، قالوا: والمورد لها إن قَابَلَ بها الحكيم فهو سوفسطائي، وإن قابل بها الجدلي، فهو مُشاغبي[92]، ويشبه الشاعر والكاتب بأصحاب ((الجدل في الكلام والمنطق والفلسفة ولكن أولئك يتصرفون في المغالطات القياسية أما الشاعر أو الكاتب فهو في استدراجه يتصرف في المغالطات الخطابية))[93] ، وهو ينطوي على أسلوب آخر تحته ، وهو إنصاف الخصم ، ((قَالَ السَّكَّاكِيُّ: وَيُسَمَّى هَذَا النَّوْعُ الْخِطَابَ الْمُنْصِفَ أَيْ لِأَنَّهُ يُوجِبُ أَنْ يُنْصِفَ الْمُخَاطَبَ إِذَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ اسْتِدْرَاجًا استدراجه الْخَصْمِ إِلَى الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ وَهُوَ شَبِيهٌ بِالْجَدَلِ لِأَنَّهُ تَصَرَّفَ فِي الْمُغَالَطَاتِ الْخِطَابِيَّةِ))[94] ، ((والإِنْصَافُ في المُعامَلة: العدالةُ، وذلك أن لا يأْخُذَ من صاحبه من المنافع إِلَّا مثْلَ ما يعطيه، ولا يُنِيلُهُ من المَضارِّ إِلَّا مثْلَ ما يَنالُهُ منه، واستُعْمِل النَّصَفَةُ في الخدمة، فقيل للخادم: نَاصِفٌ، وجمعه: نُصُفٌ، وهو أن يعطي صاحبَه ما عليه بإزاء ما يأخذ من النَّفع ، والانْتِصَافُ والاسْتِنْصَافُ:طَلَبُ النَّصَفَةِ))[(95)].

وهذا الأسلوب البياني نجده في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع السحرة فقد استعمل نبي الله موسى عليه السلام فن الاستدراج وهو بالإضافة الى ما فيه من البلاغة ينطوي على نكت دقيقة في إنصاف الخصم واضطراره الى الإذعان ، والتسليم فقد شاء السحرة في بادئ الأمر استدراج موسى ثقة منهم بأنهم فائزون عليه ، وكأنما ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى في تخييره وإعطائه النصفة من أنفسهم عندما قالوا ﴿ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ طه: ٥٨، ففوضوا ضرب الموعد اليه ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ، ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لسترهم ﴿ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ ﴾ طه: ٥٩ ، ولما استدرجوه الى التخيير في الإلقاء أيكون هو البادئ أم يكونون هم البادئين استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاؤه العصا بعدُ قذفاً بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه ، وتواضع له

وخفض جناح ، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم ، وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك ، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أولاً ، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب ، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ، ويستنفدوا أقصى طوقهم ، ومجهودهم ، فإذا فعلوا : أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ، وسلط المعجزة على السحر فمحقته ، وكانت آية نيرة للناظرين ، وعبرة بينة للمعتبرين ، فما أروع هذا الكلام ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ ﴾طه: ٦٥ – ٦٦.)) فلما كان مجمع سرورهم هو اليوم الذي اعتادوه حاوياً لهذه الأغراض زماناً ومكاناً وغيرهما ؛ لأنه يحضره البدو والحضر فيكثر المحدِّث بهذا الأمر ، لذلك اختاره عليه السلام ، فاستؤنف الخبر عنه ليكون أبلغ في الاستدراج وأبلغ في النصح ؛ لذلك لما بدأت المنازلة زاد في نصحهم لزيادة الاستدراج والتذكير بالعقوبة ؛ ولذلك أخبر عنهم بأنهم تنازعوا بينهم وأسروا النجوى لئلا يطلع فرعون على عوراتهم ﴿الْحَاقَّةُ الْحَاقَّةُ الْمُبْتَدَأُ الْقَصَصُ الْجُمُعَةُ الْمُنَافِقُونَ ﴾طه: ٦٢ ولهذا تأدبوا معه بقولهم إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى وهذا من فقهه بحالهم ؛ ولأنهم تأدبوا معه فكان من حالهم ما كان من الإيمان[96] ، فما أبدع هذه المغالطات الكلامية التي أذعن لها الخصم وألقى بالقياد .

4- اسلوب الافتراض لشحن الذهن وبعثه على التفكر

استعمل هذا الأسلوب من الافتراض لغاية شحن الذهن وبعثه على التفكر مما يحقق للمخاطب زيادة التفكير في أمره ، فجاء هذا الأسلوب تبيانا له ومرشدا وهذا ما بينه الإمام الآلوسي عند وقوفه عند قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾البقرة: ١٣٥ ، قال رحمه الله: ((﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾البقرة: ١٣٧ متعلق بقوله سبحانه : ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾البقرة: ١٣٦ إلخ أو بقوله عز شأنه : ﴿ ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١٣٥ إلخ وإن– لمجرد الفرض والكلام من باب الاستدراج، وإرخاء العنان مع الخصم حيث يراد تبكيته ، وهو مما تتراكض فيه خيول المناظرين– فلا بأس بحمل كلام الله تعالى عليه– يعني نحن لا نقول: إننا على الحق وأنتم على الباطل، ولكن إن حصلتم شيئا مساويا لما نحن عليه مما يجب الإيمان أو التدين به فقد اهتديتم ، ومقصودنا هدايتكم كيفما كانت، والخصم إذا نظر بعين الإنصاف في هذا الكلام وتفكر فيه علم أن الحق ما عليه المسلمون لا غير، إذ لا مثل لما آمنوا به، وهو ذاته تعالى وكتبه المنزلة على أنبيائه– ولا دين كدينهم))[97]

ومثله قوله سبحانه ﴿ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْحَاقَّةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ

﴿النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح﴾ الرعد: ٣٣

((قال الطيبي في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان:

أولها: أفمن هو قائم الخ احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لها.

ثانيها: وجعلوا لله شركاء وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه.

ثالثها: قل سموهم أي عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني، كما تقول إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمه، لأن المراد بالاسم العلم.

رابعها: أم تنبئونه بما لا يعلم، احتجاج من باب نفي الشيء، أعني المعلوم بنفي لازمه وهو العلم وهو كناية.

خامسها: أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكير، المعنى أتقولون بأفواهكم من غير روية وأنتم ألبَّاء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه.

سادسها: التدريج في كل من الإضرابات على ألطف وجه، وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز وإنه ليس من كلام البشر))[98] ، فقد تقدمهم بأسلوب الاحتجاج عليهم ، ثم حثهم على النظر بما يقولون بأفواههم ليقفوا على بطلانه .

5- الاستدراج بطريق المشاكلة

((ومن أساليب اللغة العربية المشاكلة بين الألفاظ، فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به في الكلام ، كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... ... قلت اطبخوا لي جبةً وقميصا

أي خيطوا لي. وقال بعض العلماء: ومنه قول جرير:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذَّكر[99]

بناء على القول بأن الأرامل لا تطلق في اللغة إلا على الإناث))[100].

((وأصل المشاكلة من الشكل وهو تقييد الدابة، والشكال ما يقيد به، ومنه استعير شكلت الكتاب كقيدته، والأشكلة الحاجة التي تقيد الإنسان))[101]، أما اصطلاحا ((ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرا ، فالأول كقوله تعالى: ﴿الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء﴾ المائدة: ١١٦ ﴿الله الرحمن الرحيم﴾ آل عمران: ٥٤ ، فإطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه... ومثال التقديري: ﴿إبراهيم الحجر النحل الاسراء الكهف مريم طه الأنبياء﴾ البقرة:

١٣٨ ، فقوله: صبغة الله أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة))[102].

وعودا على الاستدراج بطريق المشاكلة ففي((نحو قوله تعالى: (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ) ؛ أي جازاهم على مكرهم – فإن العدول إلى لفظ " المكر " في جانب الله لتربية الرهبة في نفوس الماكرين لأن الويل كله لمن مكر الله عليه))[103]، ((والأصل أخذهم بمكرهم))[104]

ومثله قوله تعالى:﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد ﴾ الطارق: ١٥ – ١٦ ، ((وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره وَأَكِيدُ كَيْداً هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب، للمشاكلة بين الفعلين))[105] ، ((فهم يحتالون حيلة ، ونحن نحكم فعلا ونبرم خلقا، ونجازيهم على كيدهم، بما نعاملهم به من الاستدراج والإمهال))[106]؛ لذلك أخذوا يوم بدر[107] ، فذلك معنى الآية التي بعدها ﴿ إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف ﴾ الطارق: ١٧.

6- الاستدراج بطريق الإيهام

((الإيهام: ويقال له: التخييل أيضًا، وهو أن يذكر لفظٌ له معنيان: قريب، وغريب، فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم الغريب، وأكثر المتشابهات من هذا الجنس)) [(108)]

ومن هذا الأسلوب ما جاء في سورة هود على لسان نبي الله نوح عليه السلام ودعوته لقومه ومحاورتهم واستدراجهم لقبول الحق بالأدلة العقلية والمنطقية ،ثم اعترض قصة نوح ادعاء المشركين افتراء القرآن ، فقال تعالى﴿ الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج ﴾ هود: ٣٥ ، ((وَأُمِرَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْرَضَ عَنْ مُجَادَلَتِهِمْ بِالدَّلِيلِ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِذَلِكَ إِذْ قَدْ أُقِيمَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ تُغْنِ فِيهِمْ شَيْئًا، فَلِذَلِكَ أُجِيبُوا بِأَنَّهُ لَوْ فُرِضَ ذَلِكَ لَكَانَتْ تَبِعَةُ افْتِرَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ لَا يَنَالُهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ.

وَتَقْدِيمُ (عَلَيَّ) مُؤْذِنٌ بِالْقَصْرِ، أَيْ إِجْرَامِي عَلَيَّ لَا عَلَيْكُم فَلَمَّاذَا تُكْثِرُونَ ادِّعَاءَ الِافْتِرَاءِ كَأَنَّكُمْ سَتُؤَاخَذُونَ بِتَبِعَتِهِ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِدْرَاجِ لَهُمْ وَالْكَلَامِ الْمُنْصِفِ))[109].

((وَذِكْرُ حَرْفِ (عَلَى) مَعَ الْإِجْرَامِ مُؤْذِنٌ بِأَنَّ الْإِجْرَامَ مُؤَاخَذٌ بِهِ كَمَا تَقْتَضِيهِ مَادَّةُ الْإِجْرَامِ))[110] ، وإنما جاء به إيهاما لهم على سبيل الاستدراج ، ووقع بأن أمره الله تعالى أنْ (({قل} في جواب قولهم هذا {إن افتريته} أي قطعت كذبه {فعليَّ} أي خاصاً بي {إجرامي} أي وباله وعقابه دونكم وإذا استعلى عليَّ الإجرام عُرف ذلك لأرباب العقول وظهر ظهوراً أفتضح به وأنتم أعرف الناس بأني أبعد من ذلك مما

بين اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين لما تعلمون مني من طهارة الشيم وعلو الهمم وطيب الذكر وشريف القدر وكريم الأمر، هذا لو كنت قادراً على ذلك فكيف وأنا وأنتم في العجز عنه سواء {وأنا بريء} أي غاية البراءة {مما تجرمون} أي توجدون إجرامه، ليس عليَّ من إجرامكم عائد ضرر بعد أن أوضحته لكم وكشفت عنكم غطاء الشبه، إنما ضرره عليكم فاعملوا على تذكر هذا المعنى فإن سوق جوابهم على هذا الوجه أنكى لهم من إقامة حجة أخرى لأنهم يعلمون منه أنه إلزام لهم بالفضيحة لانقطاعهم لدى من له وعي))[111].

فالمتتبع للسياق يرى كيف استدرج قومه بأسلوب الإيهام والتخييل ليصل لمبتغاه في الدعوة فكأنه قيل : نعم ، إنهم يقولون ذلك ، فقيل : لا عليك فإنه قول يقصدون به مجرد العناد وهم يعلمون خلافه بعد ما قام عليهم من الحجج التي وصلوا معها إلى عين اليقين فلا يهمنك قولهم هذا ، فإنهم يجعلونه وسيلة إلى تركك بعض ما يوحى إليك فلا تفعل[112] .

7- أسلوب إنصاف الخصم بصورة الإبهام

انماز كتاب الله بالحق والانصاف فهو تنزيل من لدن حكيم عليم وقد أنصف الكتاب العزيز الخصوم قبل غيرهم ، وهذا هو الحق والعدل الالهي ومما وقع في فن الاستدراج وجاء بأسلوب الإبهام قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾﴿﴾﴿﴾ سبأ: ٢٤ فجاء الاستدراج : في قوله تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » ((وَعَطْفٌ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ إِبْرَازُ الْمَقْصِدِ بِطَرِيقَةٍ خَفِيَّةٍ تُوقِعُ الْخَصْمَ فِي شَرَكِ الْمَغْلُوبِيَّةِ وَذَلِكَ بِتَرْدِيدِ حَالَتَيِ الْفَرِيقَيْنِ بَيْنَ حَالَةِ هُدًى وَحَالَةِ ضَلَالٍ لِأَنَّ حَالَةَ كُلِّ فَرِيقٍ لَمَّا كَانَتْ عَلَى الضِّدِّ مِنْ حَالِ الْفَرِيقِ الْآخَرِ بَيْنَ مُوَافَقَةِ الْحَقِّ وَعَدَمِهَا، تَعَيَّنَ أَنَّ أَمْرَ الضَّلَالِ وَالْهُدَى دَائِرٌ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ لَا يَعْدُوَانِهِمَا. وَلِذَلِكَ جِيءَ بِحَرْفِ أَوْ الْمُفِيدِ لِلتَّرْدِيدِ ...وَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْكَلَامَ الْمُنْصِفَ وَهُوَ أَنْ لَا يَتْرُكَ الْمُجَادِلُ لِخَصْمِهِ مُوجِبَ تَغَيُّظٍ وَاحْتِدَادٍ فِي الْجِدَالِ، وَيُسَمَّى فِي عِلْمِ الْمُنَاظَرَةِ إِرْخَاءَ الْعِنَانِ لِلْمُنَاظِرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَرِينَةُ إِلْزَامِهِمُ الْحُجَّةَ قَرِينَةٌ وَاضِحَةٌ))[113].فاستدرجهم بهذا الفن الذي يعد من البلاغة محورها الذي تدور عليه لأنه يستدرج الخصم ويضطره الى الإذعان والتسليم والعزوف عن المكابرة واللجاج فإنه لما ألزمهم الحجة خاطبهم بالكلام المنصف الذي يقول من سمعه للمخاطب به قد أنصفك صاحبك ونحوه قول الرجل لصاحبه : مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ، ومنه قول حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء[114]

وهو من قصيدة طويلة يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه والهمزة للاستفهام التوبيخي والواو حال أي لا ينبغي ذلك ، والجملة دعائية دعا عليه بأن يكون فداء لرسول الله وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا : هذا أنصف بيت قالته العرب. [(115)]، فالسياق

سياق محاججة فاستدرجهم بأقوى رد واعجزه لأنهم لا يستطيعون الانكار وهو قوله تعالى(﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾) فاستدرجهم بالرزق لأنه مقرون بالحق سبحانه يعرفونه حق المعرفة ، ولما كان كل شيء من الرزق متوقفاً على الكونين ، ذكر السموات والارض ، وكان في معرض الامتنان والتوبيخ فجمع بينهما ، فلما كانوا مقرين بالأمر أشار إلى ذلك بأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإجابة إلى أنهم كالمنكرين لهذا ، لأن إقرارهم به لم ينفعهم فقال : (قل الله) أي الملك الأعلى وحده ، وأمره بعد إقامة هذا الدليل البين بأن يُتبعه ما هو أشد عليهم من وقع النبل بطريق لا أنصف منه ، ولا يستطيع أحد أن يصوب إليه نوع طعن بأن يقول مؤكداً تنبيهاً على وجوب إنعام النظر في تمييز المحق من المبطل بالانخلاع من الهوى ، فإن الأمر في غاية الخطر وهذا من أعظم الاستدراج للإذعان للحق والتسليم له فقال لهم(﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾) فأراد تحريك عقولهم للهدى ولينصفهم غاية الانصاف وليعرفوا بعقولهم ويعينونه بهذه العقول ، وهل هناك غيره وهي كما قال ابن الجوزي وهذا كما تقول للرجل تكذبه : والله إن أحدنا لكاذب ، وأنت تعينه تكذيباً غير مكشوف[116] .

الخاتمة

– ومن الملحوظات التي أردنا التنبيه عليها – تحقيقا للفائدة – أن أغلب الآيات التي حوت هذا المصطلح ، وراعت أحوال المخاطبين جاءت مكية ؛ لأن الاستدراج وقع في المحاججات مع الخصوم ، وأن التدرج في الدعوة من خصائص الخطاب المكي ؛ ولأنها تضمنت الكثير من الطرائق والدلائل المؤدية لهذا المعنى .

–يعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تفضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم ، لكن محيي الدين درويش لم يرتض نسبة هذا الفن لابن الأثير وزعم أنه استلب فكرته من الزمخشري ، لكن عدم تسمية هذا الفن لا يعدّ استخراجا ولا اكتشافا له ، أما تحليله في الكلام فقد تكلم عليه الكثير ، وجمعا بين الرأيين فنرى أن ابن الأثير انقدح في ذهنه هذا الفن من تحليل الزمخشري لقصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه ؛ لذا أتى بها مباشرة منقولة بعد التعريف بهذا الفن.

–ألفاظ الاستدراج غلب عليها الاستعارة وهو تشبيه حال بحال كالأخذ ببطء بالاستدراج الذي حقيقته استصعاد درجة درجة ، أو تشبيها بدرج الصبي الذي يريد المشي بعد الحبو ، ولا يخفى ما في الاستعارة من تصوير يعين في تقوية هذا الفن.

–مما يميز هذا الفن تداخل أغراضه في القصة الواحدة وفي السياق الواحد ، وأبرز ما يتآنق فيه من الأغراض : هو الملاطفة ، وإنصاف الخصم ، والمغالطات الخطابية ، والإيهام ، وحث الفكر وبعثه ، تجدها تتآزر لتؤدي هذا الأسلوب البديع .

الهوامش

(1) مقاييس اللغة 2/ 275 ، والبيت لذي البجادين يخاطب ناقة رسول الله ﷺ. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي331/1.
(2) لسان العرب 2/ 268 ، وينظر: التعريفات / 20
(3) البحر المحيط 5/ 233 ، وينظر: مجاز القرآن 1/ 233 ، وتأويل مشكل القرآن / 106 ، والكشاف 171/2.
(4) معاني القرآن للنحاس 3/ 109.
(5) الجامع لأحكام القرآن 7/ 329
(6) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 2/ 287
(7) التحرير والتنوير 29/ 101
(8) الجامع الكبير/ 235.
(9) جوهر الكنز/ 156
(10) الأقصى القريب 103.
(11) ينظر: الفوائد المشوق 212.
(12) الكليات 113 .
(13) الخِلابَةُ: الخديعة باللسان، تقول منه: خَلَبَهُ يَخْلُبُهُ بالضم، واختلبه مِثله. وفي المَثَلِ " إذا لم تغلب فاخلب " أي فاخدع ، والخُلَبة: الخداعة من النساء. قال النمر بن تولب:

أودى الشباب وحب الخالة الخُلَبه * وقد برئتُ فما بالجسم من قُلَبه

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1/ 122.
(14) المثل السائر 68/2.
(15) إعراب القرآن وبيانه 6/ 110
(16) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 3/ 20 ، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / 235، وإعراب القرآن وبيانه 6/ 110
(17) التوقيف على مهمات التعاريف 614/1 ، وينظر: المفردات في غريب القرآن / 728 .
(18) المفردات في غريب القرآن / 728.
(19) التحرير والتنوير 9/ 192.
(20) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 2/ 321 .
(21) البحر المحيط في التفسير 3/ 172
(22) ينظر: المصدر نفسه .
(23) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 3/ 78 ، وسيأتي التعريف بها قريبا.
(24) التفسير المنير 142/11.
(25) تفسير الماوردي = النكت والعيون 1/ 396.
(26) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/ 457 .
(27) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 3/ 78 .
(28) تفسير السمعاني 2/ 260.
(29) لسان العرب 5/ 296-297 ، والبيت لأبي زبيد الطائي يصف الأسد، ينظر: الكتاب313/1، والمخصص391/7.
(30) هو أبو أسيّدة الدّبيريّ، ينظر هامش معاني القرآن للفراء 3/ 271، وغريب الحديث لابن قتيبة 278/1.
(31) معاني القرآن للفراء 3/ 271.
(32) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار 2/ 414.
(33) التفسير البياني للقرآن الكريم 2/ 109.
(34) المفردات في غريب القرآن / 389.
(35) تفسير السمعاني 1/ 212
(36) التفسير القرآني للقرآن 5/ 529
(37) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 383
(38) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 9/ 439 ، وينظر: جامع البيان ط هجر (13/ 544) ، و التحرير والتنوير 9/ 191 .
(39) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 3/ 216
(40) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 1/ 472
(41) اللباب في علوم الكتاب 11/ 310.
(42) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة / 72-73
(43) المصدر نفسه /73 .
(44) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/ 581
(45) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 757 ،وينظر: اللباب في علوم الكتاب 20/ 270
(46) التحرير والتنوير 29/ 270
(47) الفروق اللغوية للعسكري / 76
(48) لطائف الإشارات = تفسير القشيري 2/ 552- 2/ 553 .
(49) جامع البيان ط هجر 10/ 89
(50) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 11/ 57

(51) القاموس المحيط / 712
(52) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 44
(53) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/ 153
(54) المصدر نفسه ، وينظر: زهرة التفاسير 1/ 124
(55) زهرة التفاسير 1/ 124
(56) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/ 153
(57) زهرة التفاسير 1/ 124
(58) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 1/ 153
(59) قرأ الحرميان والبصري بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال على وزن يجادلون أي يخادعون، والباقون بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال على وزن يفرحون أي يَخدعون. غيث النفع في القراءات السبع / 55
(60) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/44- 45
(61) ينظر: مفتاح العلوم / 162
(62) التحرير والتنوير 9/ 191
(63) جامع البيان ط هجر10/ 600
(64) التحرير والتنوير 5/ 239 ، وينظر البيت في مفتاح العلوم/ 424.
(65) التحرير والتنوير 4/ 175
(66) المصدر نفسه
(67) المصدر نفسه (9/ 193)
(68) المصدر نفسه
(69) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ت: غزاوي / 301 ، والتحرير والتنوير 460/1.
(70) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية 2/ 278-279 .
(71) قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ الأنعام: ٧٧
(72) قَالَ تَعَالَى: ﴿ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ الأنعام: ٧٨
(73) التحرير والتنوير 7/ 318 - 319
(74) المصدر نفسه 7/ 319
(75) إعراب القرآن وبيانه 3/ 157 ، وينظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي 4/ 86
(76) الجدول في إعراب القرآن 7/ 202 ، وينظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي 4/ 86
(77) روح المعاني 15/ 257
(78) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 4/ 708- 709 ، وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل 2/ 1312
(79) مفتاح العلوم / 161
(80) جامع البيان ط هجر 18/ 368 ، وينظر: معاني القرآن للفراء 1/ 162
(81) البرهان في علوم القرآن 2/ 290
(82) البلاغة العربية 2/ 293
(83) التحرير والتنوير 1/ 730
(84) المصدر نفسه
(85) المصدر نفسه 731/1- 732
(86) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ت غزاوي / 317
(87) ينظر: شرح نهج البلاغة 7 / 241-242.
(88) المصدر نفسه 2/ 170
(89) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد (2/ 65) بتصرف
(90) المصدر نفسه 2/ 65- 66
(91) التعريفات / 223، و إعراب القرآن الكريم وبيانه: 109/6.
(92) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم 2/ 277
(93) إعراب القرآن وبيانه 6/ 110
(94) البرهان في علوم القرآن 2/ 313-314، ولم أجده في مفتاح العلوم.
(95) المفردات في غريب القرآن / 810
(96) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 3/ 74-75 ، وإعراب القرآن وبيانه 6/ 214
(97) روح المعاني 1/ 394
(98) فتح البيان في مقاصد القرآن 7/ 62-63
(99) لم أعثر عليه في ديوانه ، ينظر البيت في: حلية الأولياء 325/5.
(100) الأساليب والإطلاقات العربية / 62

(101) التوقيف على مهمات التعاريف / 207
(102) معترك الأقران في إعجاز القرآن 1/ 312
(103) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية 2/ 425
(104) من بلاغة القرآن / 142
(105) التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 472
(106) لطائف الإشارات = تفسير القشيري 3/ 716
(107) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن 10/ 181
(108) التعريفات / 41
(109) التحرير والتنوير 12/ 64
(110) المصدر نفسه
(111) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 9/ 281
(112) ينظر: المصدر نفسه
(113) التحرير والتنوير 22/ 192
(114) ديوانه/20.
(115) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 8/ 92
(116) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 15/ 498-499

Sources

1 -Arabic Styles and Releases: Al-Minawi: The Comprehensive Library, Egypt - Edition: First, 1432 A.H. - 2011 A.D.
2 -The Expression and Explanation of the Qur'an: Muhyi al-Din Darwish (died 1403 AH): Dar al-Irshad - Syria, fourth edition, 1415 AH.
3 -Al-Aqsa Near: Al-Tanoukhi (died 749 AH) Al-Saada Press in Egypt, first edition 1327 AH.
4 -Victory in response to the wicked Qadarite Mu'tazila: Abu Al-Hussein Al-Shafi'i (d. 558 AH) Adwa' al-Salaf, Riyadh, - Edition: First, 1419 AH / 1999 AD
5 -Clarification in the sciences of rhetoric: Jalal al-Din, known as al-Khatib al-Qazwini (d. 739 AH) - Dar Ihya al-Ulum - 1419 AH 1998 AD
6 -The Ocean in Interpretation: Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 A.H.): Dar Al-Fikr - Beirut Edition: 1420 A.H.
7 -The Long Sea in the Interpretation of the Glorious Qur'an: Ibn Ajiba Al-Hasani (d. 1224 AH) - Cairo, Edition: 1419 AH
8 -The proof in the sciences of the Qur'an: Muhammad bin Bahader Al-Zarkashi: House of Knowledge - Beirut, 1391
9 -Arabic Rhetoric: Abd al-Rahman Habanka al-Maidani (died 1425 AH): Dar al-Qalam, Damascus, - Edition: First, 1416 AH - 1996 AD
10 -Interpretation of the problem of the Qur'an: Ibn Qutayba al-Dinuri (d. 276 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon
11 -Editing and Enlightening: Al-Taher Bin Ashour (died 1393 AH): Tunisian Publishing House - Tunis: 1984 AD
12 -Definitions: Al-Sharif Al-Jurjani (d. 816 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon - Edition: First 1403 AH -1983 AD
13 -Tashil for the Science of Downloading: Ibn Juzay Al-Kalbi Al-Gharnati (died 741 AH): Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam - Beirut - Edition: First - 1416 AH
14 -The graphic interpretation of the Holy Qur'an: Bint Al-Shati (d. 1419 AH): Dar Al-Maaref - Cairo - Edition: Seven
15 -Tafsir al-Baydawi: Abdullah bin Omar al-Baydawi (d. 685 AH): House of Revival of Arab Heritage - Beirut - Edition: First - 1418 AH

16 -Modern interpretation: Muhammad Izzat Darwaza - House of Revival of Arabic Books, Cairo, 1383
17 -Tafsir Al-Samani: Abu Al-Mudhaffar, Al-Samani (d. 489 AH) Dar Al-Watan, Riyadh Edition: First, 1418 AH - 1997 AD
18 -Qur'anic interpretation of the Qur'an: Abdul Karim Younis Al-Khatib (died after 1390 AH) - Arab Thought House - Cairo
19 -Tafsir al-Mawardi = Jokes and Eyes: al-Mawardi (died 450 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut / Lebanon
20 -Al-Tafsir al-Munir fi al-Aqeedah, Sharia and Method: Dr. Wahba bin Mustafa al-Zuhaili: House of Contemporary Thought - Damascus, Edition: Second, 1418 A.H.
21 -Arrest on Definitions Tasks: Al-Manawi,: Dar Al-Fikr Al-Moaser, first edition, 1410
22 -Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an: Abu Jaafar al-Tabari (d. 310 AH) Dar Hajar for Printing and Publishing - Edition: First, 1422 AH - 2001 AD
23 -The Great Mosque in the Industry of the System from the Words and the Manthor: Dia Al-Din, known as Ibn Al-Atheer (d. 637 AH) Al-Majma` Al-Alami Press - 1375 AH
24 -The Collector of the Rulings of the Qur'an: Abu Bakr Al-Qurtubi (d. 671 AH) Dar Alam Al-Kutub, Riyadh - Edition: 1423 AH / 2003 AD
25 -The essence of treasure: Najm al-Din ibn al-Atheer al-Halabi (d. 737 AH), Alexandria Knowledge Foundation, 2009 AD.
26 -The meteor's footnote on the interpretation of al-Baydawi: Shehab al-Din al-Khafaji (d. 1069 AH), Dar Sader - Beirut.
27 -Ornament of the Guardians and the Layers of the Righteous: Abu Naim Al-Asbahani (died 430 AH): Happiness - next to the Governorate of Egypt, 1394 AH - 1974 AD
28 -Characteristics of Quranic expression and its rhetorical features: Abdul Azim Al-Muta'ni (died 1429 AH): Wahba Library - Edition: First, 1413 AH - 1992 AD
29 -Al-Durr Al-Masoon fi Al-Ulum Al-Kitab Al-Kitab: Abu Al-Abbas, known as Al-Samin Al-Halabi (d. 756 AH): Dar Al-Qalam, Damascus
30 -Diwan Hassan bin Thabet: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, second edition, 1414 AH - 1994 AD.
31 -The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions: Abu al-Thana' al-Alusi (d. 1342 AH): House of Revival of Arab Heritage - Beirut
32 -Zahrat al-Tafsir: Muhammad Abu Zahra (d. 1394 AH): House of Arab Thought
33 -Explanation of Nahj al-Balaghah: Ibn Abi al-Hadid, (d. 656 AH) House of Revival of Arabic Books Issa al-Babi al-Halabi and Co.
34 -Al-Sahah: Al-Jawhari (d. 393 AH) House of Science for Millions - Beirut, Fourth Edition: 1407 AH - 1987 AD
35 -Al-Awasim and Al-Qawasim in the Refutation of the Sunnah of Abu Al-Qasim: Ibn Al-Wazir, (died 840 AH), achieved by the Al-Resala Foundation, Beirut - Third Edition, 1415 AH - 1994 AD
36 -The strangeness of interpretation and the wonders of interpretation: Al-Kirmani Taj Al-Qura' (died about 505 AH): Dar Al-Qibla for Islamic Culture - Jeddah,
37 -Gharib hadith: Abu al-Faraj known as Ibn al-Jawzi (d. 597 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1985.
38 -Gharib Hadith: Ibn Qutayba Al-Dinori (died 276 AH) Al-Ani Press - Baghdad, Edition: First, 1397 AH.

39 -Ghaith Al-Naf' in the Seven Readings: Al-Safaqi (died 1118 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut Edition: First, 1425 AH - 2004 AD
40 -Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur'an: Al-Qannuji (d. 1307 A.H.) Al-Asriya Library, Saida - Beirut: 1412 A.H. - 1992 A.D.
41 -Linguistic differences: Abu Hilal Al-Askari (d. about 395 AH) Dar Al-Ilm, Cairo - Egypt
42-Interesting benefits to the sciences of the Qur'an and the science of eloquence: Ibn Qayyim al-Jawziyya (d. 751 AH) Al-Sa'dah Press - Egypt - 1327 AH.
43-Surrounding Dictionary: Al-Fayrouzabadi (died 817 AH) Al-Resala Foundation, Beirut - 8th Edition, 1426 AH - 2005 AD
44-Book: Sibawayh (died 180 AH) Al-Khanji Library, Cairo Third Edition, 1408 AH - 1988 AD.
45-Al-Kashshaf: Al-Zamakhshari (d. 538 AH) House of Revival of Arab Heritage - Beirut
46-Revealing and clarifying the interpretation of the Qur'an: Al-Thalabi (d. 427 AH), House of Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, Edition: First 1422 AH - 2002 AD
47-Colleges: Abu Al-Baqa Al-Kafwi (died 1094 AH): Al-Resala Foundation - Beirut
48-Al-Labbaf fi Ulum al-Kitab: Ibn Adel al-Hanbali (died 775 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1419 AH - 1998 AD.
49-Lisan al-Arab: Ibn Manzur (died 711 AH): Dar Sader - Beirut - Edition: Third - 1414 AH
50-The signs of signs: Al-Qushayri (d. 465 AH) The Egyptian General Book Organization - Egypt - Edition: Third

51- The Proverb in the Literature of the Writer and Poet: Ibn Al-Atheer (d. 637 AH) Al-Asriyya Library - Beirut 1420 AH
52-Metaphor of the Qur'an: Abu Ubaidah (d. 209 AH) Al-Khanji Library - Cairo, Edition: 1381 AH
53-The brief editor in the interpretation of the dear book: Ibn Attia al-Andalusi - Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Lebanon - 1413 AH - 1993 AD Edition: First
54-Custom: Ibn Saydah (died 458 AH) House of Revival of Arab Heritage - Beirut Edition: First, 1417 AH 1996 AD.
55-Meanings of the Qur'an: Al-Nahhas (died 338 AH) Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah, Edition: First, 1409
56-Meanings of the Qur'an: Al-Fara' (d. 207 AH) Dar Al-Masria for Composition and Translation – Egypt – Edition: First
57-The meanings and syntax of the Qur'an: Abu Ishaq al-Zajjaj (died: 311 AH) Alam al-Kutub - Beirut - Edition: First 1408 AH - 1988
58-The Battle of the Peers in the Miracles of the Qur'an: Al-Suyuti (d. 911 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut - Edition: First 1408 AH - 1988 AD
59-Dictionary of Linguistic Differences = Linguistic Differences in Order and Increase: Abu Hilal Al-Askari (d. about 395 A.H.) Islamic Publication Institution in Qom Edition: First, 1412 A.H.
60-Dictionary of Rhetorical Terms and Their Evolution: Dr. Ahmed Matlab, Iraqi Scientific Academy Press, 1406 AH - 1986 AD.
61-Keys to the Unseen: Fakhr Al-Din Al-Razi (d. 606 AH) House of Revival of Arab Heritage - Beirut Edition: Third - 1420 AH
62-Miftah al-Ulum: al-Sakaki (died 626 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Edition: Second, 1407 AH - 1987 AD

63-Vocabulary in the strangeness of the Qur'an: Al-Ragheb Al-Isfahani (d. 502 AH) Dar al-Qalam, - Damascus - Edition: First - 1412 AH
64 -Language standards: Ahmad bin Faris (died 395 AH) Dar Al-Fikr - 1399 AH - 1979 AD.
65 -From the eloquence of the Qur'an in expressing in the morning, the origin, the evening and the early morning: Dr. Muhammad Muhammad Abdel-Alim Desouki - Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University-2003
66- Nizam Al-Durar in proportion to verses and surahs: Ibrahim bin Omar Al-Beqai (d. 885 AH): Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo